الاختلاف المذهبيّ وأثره في التأويل النحويّ لآيات القرآن الكريم

الدكتور

محمد السيد عبد الرازق السيد

العدد الثامن

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٢١٨٤/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2535-2350

مستخلص الدراسة

تتناول الدراسة جانبًا من الدرس النحويّ التطبيقي الذي يبرز العلاقة بين القاعدة والمعنى، تلك العلاقة التي بُني النحو على أساسها، فالنحو العربيّ لم ينشأ ليحافظ على اللسان العربيّ من اللحن والتحريف في الألفاظ والمباني إلا ليصون من خلال ذلك المقاصد والمعاني، هذا الجانب – الذي تمّ تناوله بإيجاز – هو غلبة وتسلّط النزعة المذهبيّة لبعض علماء العربيّة – وخاصة من تناول القرآن الكريم بالتفسير – على التوجيه النحويّ لبعض ألفاظ القرآن بهدف الأخذ بالمعنى القرآني إلى ما يوافق أصول مذاهبهم ويلائم أفكارهم العقائديّة، وقد اتضح لنا أنَّ ذلك الأمر قد ألبسهم في بعض الأحايين رداء الفلاسفة والمناطقة، وكسا أعاريبهم ثوب المذهبيّة، وربما جنح بهم الأمر إلى أكثر من ذلك بالنيل من الآخر خلقًا وفكرًا وعقيدةً، على أنَّ موافقة الآخر في بعض آرائه لم تكن في كثير من الأحيان إلا بهدف التأصيل للمذهب بالقول بأنَّ هذا الرأي أو ذاك يرجع إلى علمائهم وأنَّهم الذين بنَوه وأسسوا دعائمه، أو موافقتهم الوجه النحويّ وتأويله إلى معنىً يوافق فكرهم المذهبيّ في أحايين أخرى.

Abstract

The study deals with an aspect of the applied grammatical lesson, which highlights the relationship between the rule and the meaning, the relationship on which the grammar was built. The Arabic Grammar was not only created to preserve the Arabic tongue of melody and distortion in words and structures but to maintain through this the purpose and meanings. That aspect, briefly addressed- is the predominance and domination of the doctrinal inclination of some Arab scholars - especially those who considered the Qur'an by interpretation - on the grammatical direction of some of the Quran's words in order to introduce the Qur'anic meaning to the origins of their doctrines and to their ideological ideas. And sometimes they were misled by the negation of the other's morals, thought and doctrine.

In most cases, agreement with the other in some of his view was only to originate the doctrine by saying that this opinion or that is attributed to their scientists and that they are the establishers who laid its pillars, or their agreement with the grammatical aspect and in other cases, interpretation into a meaning that coincides with their doctrinal thought.

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لله وكَفَى، والصّلاةُ والسّلامُ على النّبيّ المصطَفَى، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

وبعد،،،

فإنَّي لمّا أنعمتُ النظر في مصنّفاتٍ لمفسّرين تختلف مشاربُهم، ألفيتُ أنَّ النزعة المذهبيّة قد تسلّطت على تأويل بعضِهم لمعاني آيات الذكر الحكيم، فلم يدّخروا جهدًا في ليّ المعنى القرآنيّ ليساير أهواءَهم، متخذين جميعَ ما أوتوا من براعة في البيان، وما حصلوه من أساليب المنطق وطرائق الاجتهاد وسيلةً للاستدلال على صدق مذهبهم وغلبةِ نزعتهم، وجذبني اتخاذُهم قواعدَ النحو وسيلةً لتأويل المفهوم القرآنيّ للآيات الكريمة وفق مقتضيات عقيدتهم، وكيف كانوا يسخرون القاعدة النحويّة للعصبيّة المذهبيّة، فتراهم يخرّجون الإعراب ويطبقون عليه المعنى الذي يتوافق مع أفكارهم المسبقة، ويؤلون ما لا يتفق بألوان من التوجيهات التي تجنح إلى غاية غير التي وضعت لها، ممّا قد يحيلها إلى أساليب الفلاسفة والمناطقة في بعض الأحيان.

وعليه، فقد استخرت الله (ﷻ) وطلبت عونه في تسليط الضوء على هذه القضيّة، مستفيدًا بما وقع تحت يدي من كتب التفسير المذهبيّة على قلّتها، مكتفيًا في سبيل ذلك بالإيجاز والإشارة؛ ذلك أنَّ طبيعة البحث تقتضي ذلك، وإن كان الأمر يحتاج إلى إفراد بحوث تجمع هذا الثراء، وتحيط بهذا التنوّع الفكريّ، وتخدم الدرس النحويّ.

وقد وقفت على بعض الدراسات والبحوث العلميّة التي تناولت جوانب تتعلّق بهذه القضيّة، وإن كان بعضها قد اقتصر في دارستها أو الإشارة إليها على ثلاثة

مذاهب فقط كالمعتزلة والشّيعة والمتصوّفة، أو مذهبين فقط كأهل السنّة والجماعة والمعتزلة، أو مذهب واحد كالأشاعرة دون باقي المذاهب الأخرى، أو تعرّض بعضها الآخر للآيات الواضحات بإيجاز دون تعمّق في دراسة آيات دار حول توجيهها النحويّ خلاف عميق بين علماء المذاهب، أو اقتصر بعضها على مصادر محدودة في النحو والتفسير، أو الاقتصار في دراسة القضيّة على ما ورد في كتب النّحو التقعيديّة، بعيدًا عن دراستها كجانب توظيفيّ لقواعد النحّو من خلال تطبيقها على ألفاظ ومعاني القرآن الكريم مع التحليل والمناقشة، أو لم تكن خالصة لدراسة القضيّة بل تعرّض لها الباحث بإيجاز ضمن قضايا لغويّة ومعجميّة أو فلسفيّة أو كلاميّة أو فكريّة أخرى.

ومن هذه الدراسات والبحوث: (أثر التّوحيد والتّنزيه في توجيه إعراب القرآن الكريم عند السنّة والمعتزلة) [١]، و (أثر العقيدة وعلم الكلام في النّحو العربيّ)[٢]، و (أثر الدّلالة اللّغويّة والنّحويّة في استنباط الأحكام الاعتقاديّة من خلال القرآن الكريم)[٣]، و (أثر العقيدة الأشعريّة في التّوجيه النّحويّ واللغويّ لنصوص

---

١ – بحث تكميليّ لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكليّة الآداب – الجامعة الأردنيّة، إعداد: خالد عبد القادر السّعيد، إشراف: أ.د/ إبراهيم السّمرائيّ، رئيس قسم اللغة العربيّة في جامعة بغداد سابقًا، ومساعدة: د/ راجح الكردي، رئيس قسم أصول الدين في كليّة الشّريعة في الجامعة الأردنيّة. عام (١٤٠٤هـ).

٢ - رسالة ماجستير، إعداد: د/ مصطفى أحمد عبد العليم، جامعة القاهرة، كليّة دار العلوم، إشراف أ.د/ أحمد عبد العزيز كشك، أستاذ النّحو والصّرف بكليّة دار العلوم، و أ.د/ محمد السّيّد الجليند، أستاذ الفلسفة الإسلاميّة بكليّة دار العلوم، سنة (١٤١٢هـ).

٣ - بحث تكميليّ لمتطلبات درجة الماجستير، في اللغة العربيّة وآدابها من كليّة الآداب في جامعة بغداد، إعداد: د/يوسف خلف محل العيساويّ، إشراف: أ.د/ خديجة عبد الرزاق الحديثي، سنة ١٤١٧هـ.

القرآن والسّنّة)[١]، و (الأثر العقدي في تعدّد التّوجيه الإعرابيّ لآياتِ القرآن الكريم جمعًا ودراسةً)[٢]، و (المفاهيم اللغويّة عند الفرق الإسلاميّة)[٣]، و (أثر المعنى النّحويّ في تفسير القرآن الكريم بالرأي)[٤].

هذا، ولم أجنح – وأنا في سبيل تحقيق ما ذكرت سابقًا – إلى التخطئة والتصويب، بل قصدتُ عرض الفكر والاختلاف، رجوعًا به إلى أصله وسببه، وتبيان قوّة التوجيه النحويّ في تطويع المعنى وفق مقتضيات النزعة المذهبيّة، واللهَ أسألُ أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم.

---

[١] - رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الدراسات العليا – الجامعة الأردنيّة، إعداد: شاهر فارس حسين ذياب، إشراف: أ.د/ إسماعيل عمايرة، سنة (٢٠٠١م

[٢] - كتاب مطبوع، تأليف الدكتور محمد بن عبد الله بن حمد السّيف، عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربيّة وآدابها في جامعة القصيم، دار التّدمُريّة – الرّياض، ط١، سنة (١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م)

[٣] - رسالة دكتوراه، تأليف الدكتور أمان أبو صالح، الجامعة الأردنيّة – عمان، سنة (١٩٩٥م).

[٤] - كتاب مطبوع من رسالة جامعيّة، تأليف: بشيرة علي فرج العُشيبي، من منشورات جامعة قاريونس – بنغازي.

تمهيد:

الوحي الإلهيّ وفهم الصّحابة

إنَّ الناس قبل بعثةِ النبي محمد (ﷺ) وتحديدًا في القرنين السادس والسابع لميلاد المسيح (عليه السلام) – بعدما خفتت دعوة الأنبياء من زمن – كانوا في جهلهم وعمايتهم يتخبطون، وفي ضلالتهم وغوايتهم يتيهون، انتشرت فيهم الخرافات على اختلاف ألوانها، وراجت سوق الظلماتُ، وحاط بهم الاستبداد من كلّ جانب، ضاعت بينهم الحقوق والواجبات، وفشت الشرورُ والجهالاتُ، ساروا بقوّة إلى الهبوط والانحدار، وداروا في غمرة من الأوهام، واضطراب في فوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، والتناحر والتصارع والتقاتل، دون قوّة ترشدهم وتمسك بأيديهم وتمنعهم من التردي، لا فرق في ذلك بين أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، ومن لا كتاب لهم ممّن كانت عبادة الأوثان عقيدتهم، وخرافات الوثنية منطلق أفكارهم، مع الاحتكام للهوى والانتهاء إلى المصالح الشخصيّة، دون أن يكون هناك ضابط معين أو تعاليم خلقيّة محددة [١].

كان هذا – بإيجاز – هو الحال، ولعلّ ما يصوّر لنا ما ابتليت به الإنسانيّة في تلك الحقبة الزمنيّة قبل البعثة النبويّة من انحطاط دينيّ شديد ووثنيّة سخيفة وأدواء خلقيّة

---

١ - **ينظر** حال الناس قبل الإسلام في: كتاب الأصنام، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحـــ: الأستاذ أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٣، سنة (١٩٩٥م): صـــ ٣٣، ٣٤، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ تأليف العلّامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة – أمام جامعة الأزهر: صـــ ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٨،٣٩، الرحيق المختوم – بحث في السيرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تأليف فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الجامعة السلفية – الهند، دار إحياء التراث: صـــ٢٦– ٣١، ٣٣، هذا الحبيب محمد رسول الله (ﷺ) يا مُحبّ، تأليف أبو بكر جابر الجزائري، دار الخاني للنشر والتوزيع – الرياض، ط٣، سنة (١٤٠٩هـــ – ١٩٨٩م): صـــ ٢٣– ٣٢، ٤٤–٤٧، فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد: صـــ ٣٧–٣٨، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – الخطط المقريزية، تأليف: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى، (ت: ٨٤٥ هـــ)، دار صادر – بيروت: ٤ /٣٩٢

واجتماعيّة أدّت إلى انحطاط الأخلاق وفساد المجتمعات وتضعضع كياناتها واحتوائها أسوأ خصائص الحياة البعيدة عن محاسن الأديان، ما ورد في صحيح مسلم أنّ رسول الله (ﷺ) قال: " إنَّ اللهَ (ﷻ) نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقَتَهم عربَهم وعجمَهم، إلا بقايا من أهلِ الكتابِ"[١].

ثم أراد الله (ﷻ) لهذه الإنسانيّة الشقيّة المعذّبة أن يزيل شقوتها، وأن يضع عنها إصرها والأغلال التي في أعناقها، وأن ترقى بروح من أمره وتسعد بوحي السّماء، فأرسل إليها على حين فترة من الرّسل برحمتِه وفضلِه النبي الخاتم محمد بن عبد الله (ﷺ)، نبي الرّحمة، ومبدد الظلمة، وكاشف الغمّة، ومخرجهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، صنعه الله (ﷻ) على عينه، واختاره أمينًا على وحيه، فطلع عليها بنوره وهدْيه، فانقشعت الظلمات وتبددت الضلالات.

أنزل الله (ﷻ) على النبي الخاتم (ﷺ) كتابًا بلغة قومه وعلى أساليبهم في كلامهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم:٤)، فنزل الكلام الإلهيّ بلغة العرب، قال (ﷻ): ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢) ، وجعل الله (ﷻ) لنبيه (ﷺ) من القرآن الكريم معجزة باهرة، شاهدة على صدق دعوته، مؤيدة لحقّيّة رسالته، فكان الكتاب المبين، هو الهداية والحجّة على الخلق أجمعين، تهافتت عليه قلوبهم، ووجدوا فيه ملاذهم، وشفاءً لما في صدورهم، وراحوا يبحثون عن معانيه؛ ليقفوا على ما فيه من مواعظ وعبر، وأخذوا يتدبّرون في آياته ليأخذوا من مضامينها ما فيه سعادة الدنيا وخير الآخرة.

وبالجملة، فإنَّ الصحابة (ﷺ) لم يجدوا في القرآن الكريم صعوبةً في تلمّس معانيه، والوقوف على مراميه، ومراد ربّهم منه، فمع تيسير الله لقارئه كما قرره في قوله

---

[١] - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوريّ (٢٠٦ هـ - ٢٦١ هـ)، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٢٨٦٥)، ٢١٩٧/٤. **وينظر:** شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٣١هـ-٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، سنة (١٣٩٢هـ): ١٩٧/١٧.

(ﷻ)﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧)، وإنزاله الكتاب على نمطهم في كلامهم وجريًا على فنونهم من القول وما ألفوه – غير أنّه يعلو بمعانيه الرائعة التي افتنّ بها في غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقًا لإعجازه، ولكونه من لدن حكيم عليم – فقد كان القوم عربًا خلّصًا، تعينهم سليقتهم العربيّة، على فهم القرآن، فهمًا لا تعكره عجمة، ولا يشوبه تكدير، ولا يشوّهه شيء من قبح الابتداع، وتحكم العقيدة الزائفة الفاسدة، وكلّ ذلك أعانهم على جمع الشمل وتوحيد الوجهة والقصد نحو نشر العقيدة نقيّة خالصة من تنازع الأهواء وتناقض المقاصد، وزيف الغرض.

وطبعيٌّ أن يكون الفهم التام من الصحابة (ﷺ) للقرآن بما لا يحتاج إلى بحث وتدقيق هو ما كان للقرآن في جملته، أي بالنسبة لظاهره وأحكامه، أمَّا فهمه تفصيلًا، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، أضف إلى ذلك تفاوت الصحابة في فهم المعنى القرآنيّ[١]، نظرًا لتفاوتهم في إدارك ظروف وملابسات نزول الآيات، وتفوّق بعضهم على بعض في القدرات العقليّة وأدوات الفهم، واستنباط المراد من النصّ القرآنيّ، علاوة على اتساع الفارق بينهم في العلم بلغتهم والإلمام بغريبها وإدراك خفاء مدلولات بعض الألفاظ[٢].

---

[١] - **ينظر:** النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزريّ (ت: ٦٠٦هـ) تحـ: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، المكتبة العلميّة – بيروت، سنة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م): ١/ ٢٨، الطبقات الكبرى محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تحـ: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، سنة (١٩٦٨ م): ٢/ ٣٤٣.

[٢] - ومن القصص والآثار التي تؤكد خفاء مدلولات بعض الألفاظ عند بعض الصحابة، نظرًا لاختلاف اللهجة العربيّة، " ما روي أن رجلًا كأبي هريرة لا يعرف كلمة السكين؛ لأنّه من = قبيلة أزد، فقد سقطت من يد النبى (ﷺ) فقال – بعد أن كرر الرسول (ﷺ) له القول ثانية وثالثة –: آلمدية تردي؟ فقال الرسول (ﷺ): نعم. ويقول النبى (ﷺ) لأبى تميمة: إياك والمخيلة، فقال: يا رسول الله نحن عرب، فما المخيلة؟ فقال رسول الله (ﷺ): سبل الإزار، فوضحها لهم". **ينظر:** اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء)، أحمد بن مصطفى الدمشقيّ، (ت: ١٣١٨ هـ)، ط: دار الفضيلة، القاهرة: ١/١٦.

ولا يقدح ذلك في عروبة من فاته ذلك، فاللّغة كما هو معلوم لا يحيط بها إلا معصوم، وما وجد في دنيا الناس من ادّعى إلمامه بكلّ ألفاظ اللغة التي ينطق بها[١]، كما أنَّه ينبغي الأخذ بالاعتبار ظاهرة الترادف في اللغة العربية بلهجاتها المختلفة التي نزل بها القرآن الكريم، فالقرآن لم يقتصر على لهجة قريش[٢].

ومن ثم فقد كان من المنطقيّ أن يجدوا من معاني القرآن ما دقّ مرماه ولطف معناه، وما يحتاج إلى البحث والنظر لأنَّ القرآن فيه المجمل، والمشكل، والمتشابه، وغير ذلك مما لا بد في معرفته من أمور أخرى.

ولكنّهم (ﷺ) لم يقعوا في شبهات الاختلاف وضلالات الهوى والخضوع إلى نزعات ونيّات ، فقد جنّبوا أنفسهم وحفظوا كلام ربّهم (ﷻ) من تنزيل معانيه على مقاصد الأهواء ونزعة الرغبات، وتحرّجوا عن القول في القرآن بآرائهم، والأدلة على ذلك كثيرة [٣].

---

١ - **قال ابن قتيبة:** " والعرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب، والمتشابه، بل لبعضها الفضلُ في ذلك على بعض.. وكذلك هي في الغريب ليس كلّها تستوي في العلم به، ولا كلامها كلّه واضحًا عندها، بل منه المبتذل، ومنه الغريب الوحشيّ الذي إنَّما يعرفه العالم منهم، وقد يختلفون في الحروف كما نختلف، ويقول العالم في الشيء يُسأل عنه من اللغة: لا أعرفه، ويعرفه غيره، فيخبِر به". كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحـــ: مراون العطية، محسن خرابة، دار ابن كثيرـــ ط١، سنة (١٤١٠ هـــ- ١٩٩٠م): صـــ ٤٨: ٥٠.

٢ - **ينظر في ذلك ما قاله القرطبيّ في تفسيره . تفسير القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، دار الشعب، القاهرة: ١/ ٤٤.**

٣ - من ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق (ﷺ) من أنَّه سُئل عن قوله تعالى (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) (عبس: ٣١)، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وفي رواية وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى. **ينظر في هذا بالتفصيل:** تفسير السمرقنديّ، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقنديّ، دار الفكر- بيروت، تحـــ: د.محمود مطرجي: ١/ ٣٦، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ، (ت: ٥٤٦هـــ)،

وكذلك فإنَّهم قد رأوا أنَّ هناك من المقاصد ما لا يضرّ الجهل بكينونتها وأنَّ في خفائها من الحكم التي يعدّ التنقيب عنها ضربًا من التكلّف، مكتفين بالفهم الإجمالي للمعنى القرآنيّ[١]، فنأوا بأنفسهم عن وضع رأيهم في التأويل ما دام المراد واضحًا جليّا.

ولا يفهم من ذلك الكسل عن تتبع معاني القرآن، بل المراد عدم شغل النفس بما يصرفها عما غيره أولى[٢].

تحـــ: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة – لبنان، ط١، سنة (١٤١٣هـــ – ١٩٩٣م):٤١/١، تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ أبو الفداء، (ت: ٧٧٤هـــ)، دار الفكر– بيروت: ٦/١، ٤٧٤/٤.

[١] - من ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أنَّه قرأ على المنبر (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) (عبس: ٢٧–٢٨)، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، ورفع عصاً كانت بيده، وقال: هذا لعَمْرُ الله التكلف، وما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا تبيّن فدعوه؟. وهذا كلّه محمول على إرادة استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل؛ لقوله تعالى: (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا). **ينظر**: سنن سعيد بن منصور، تأليف: سعيد بن منصور الخراساني، (ت: ٢٢٧هـــ)، تحـــ: د.سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي – الرياض، ط١، سنة (١٤١٤هـــ): ١٨١/١، الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ (ت: ٥٣٨ هـــ)، تحـــ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت: ج٤/ ٧٠٥، تفسير ابن كثير:٦/١.

[٢] - ففي قوله تعالى (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) (عبس: ٢٧–٢٨)، الذي أشرنا إليه، أغناهم في المعنى عن البحث والتنقيب أنَّه تعداد النعم التي أنعم الله بها على عباده فالآية كما فهموها مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه، واستدعاء شكره. قال الزمخشريّ تعقيبًا على الآية: " فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفاً عندهم...". الكشاف: ٧٠٥/٤. **وينظر** في هذا: تفسير القرآن الكريم، للأستاذ الإمام

على أنَّ ذلك لم يقعدهم (رضي الله عنهم) عن البحث والتنقيب عن إدارك ما خفي عليهم من دقائق ولطائف معاني آي الذكر الحكيم التي تزيد في حصيلتهم، وتثري من فهمهم، وتعمّق من إيمانهم، وتزيد في أعمالهم.

وكان سبيلهم في معرفة ما عجزوا عن فهم مقصوده وتلمّس مفهومه، أحد خمسة مصادر، الأول: القرآن الكريم، أي: تفسير القرآن بالقرآن، الثاني: النبي (صلى الله عليه وسلم)، الثالث: أهل البادية والشعر الجاهليّ، الرابع: الاجتهاد وقوّة الاستنباط، الخامس: أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، والحديث عن تفصيل ذلك يطول ويحتاج إلى بحوث منفردة [١]، لكن ما يعنينا أنَّ الصحابة والتابعين من بعدهم ساروا يجمعهم هدي القرآن وفهمه، ووحدة الوقوف على حقيقته وقصده، طريقهم في الوصول لفهم كلام الله (عز وجل) تكاد تكون واحدة، عمادها الرواية والسماع.

الفِرَق الإسلاميّة والقاعدة النحويّة:

شاء الله (عز وجل) أن تتحقق إرادته في خلقه، وأن يترجم في دنيا الناس مفهوم قوله (سبحانه وتعالى) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وأرادت مشيئته تحقيق نبوءة نبيه (صلى الله عليه وسلم) في قوله: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلا واحدة، قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابي عليه"[٢]، فجاءت الفتن كقطع الليل المظلم،

الشيخ محمد عبده – رحمه الله تعالى – (جزء عم) مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٤١هـ): صـ ٢٢-٢٣.

[١] - **ينظر** – مثلًا –: التفسير والمفسّرون التفسير والمفسّرون، تأليف الدكتور محمّد حسين الذهبيّ، ج١، مكتبة وهبة– القاهرة، من صـ ٣١: صـ ٤٨.

[٢] - **ينظر:** مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة– مصر: ١٠٢/٤، شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو

وتصدعت الوحدة الإسلاميّة الدّينيّة والسياسيّة على زلزال الاختلاف، وكانت النواة التي بني عليها ذلك ما كان بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – وسار ذلك بالتدرّج حتى وصل الأمر إلى أن تفرّق المسلمون في الدين شيعًا، وأحدثوا فيه بَدعًا وبِدعًا، وانقسموا إلى طوائف وأحزاب مختلفة، وفرق ومذاهب متناحرة متحاربة، وظهر خطر ذلك خاصة في عصر الدولة العباسيّة.

وليس غرضنا تتبع نشأة الفِرق واستقصائها، ويكفينا الإشارة إلى أنَّ أشهرها خمس:

أهل السّنة[١]، والشيعة[٢]، والمعتزلة[٣]، والمرجئة[٤]،

بكر، (ت: ٤٦٣ هـ)، تحـ: د.محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السّنة النبوية – أنقرة: ٢٤/١.

[١] - **ينظر بيانهم في:** الوصية الكبرى في عقيدة أهل السّنة والفرقة الناجية، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية – مصر، ط ٣، سنة (١٤٠٠هـ): صـ ٤٥، الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر: ٢٦٠/٢-٢٦٥، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادى – جدة، ط ١، سنة (١٤١٤هـ): صـ١٤٧-١٤٨.

[٢] - **ينظر بيانهم في:** الفصل في الملل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، (ت: ٥٤٨ هـ) ، مكتبة الخانجي – القاهرة: ٨٩/٢-٩٠، الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحـ: عبد الأمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة – بيروت، ط ١، سنة (١٤١٠هـ): ١/ ١٤٦ – ١٤٧، مناهل العرفان، في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقانيّ، دار الفكر – لبنان، ط١، سنة (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م): ٥٥/٢، فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء – بيروت، سنة (١٤٠٤ه – ١٩٨٤م).

[٣] - **ينظر في بيانهم:** الملل والنحل: ٤٣/١ – ٤٦، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، مكتبة الكليات الأزهريّة، القاهرة (١٣٩٨هـ): ٣٨/١- ٤٦.

[٤] - **ينظر في بيانهم:** الملل والنحل: ١٣٩/١.

والخوارج[١]. وما وراء ذلك من الفرق والمسميّات كالأشاعرة[٢]، والجبريّة[٣]. والباطنيّة[٤]، والمشبهة[٥]والقدريّة[١]، والحشويّة[٢]، وغيرها، فمعظمها مشتق من هذه الفرق الخمس الرئيسيّة أو أطلقها بعضهم عليها.

---

١ - **ينظر في بيانهم:** الملل والنحل: ١١٤/١ – ١٢٦، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٤٦/١ – ٥٢.

٢ - **الأشاعرة:** ينتمون إلى أبي الحسن الأشعري، وهم من أكثر الفرق خوضًا في علم الكلام، وأصول مذهبهم في غالبها أصول عقلية منطقية لم يستمدوها من الكتاب ولا من السّنة، **ينظر** في بيانهم: خطط المقريزي: (٢٣٥٨/٢)، الملل والنحل: (١٠٦/١).

٣ - **الجبرية أو المجبرة:** هم الذين يزعمون أنّ العبد مجبور على فعله، وليس له قدرة عليه، وأنّه لا فاعل في الحقيقة إلا الله، وهم عكس القدريّة النفاة، وأصل قولهم هذا من الجهم بن صفوان. وهم أصناف: جبرية خالصة: لا تثبت فعلا للعبد ولا قدرة، وجبرية متوسطة: تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا. ولا توجد فرقة بعينها تنفرد بهذا الاسم، بل أكثر الجبرية يقولون مع قولهم بأمور أخرى، مثل الجهميّة، والنجاريّة، والضراريّة الذين جمعوا بين الجبر ونفي الصفات. **ينظر:** الملل والنحل: ٩٧/١، الفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني، تحـــ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة– بيروت: صـــ ٢٠٨–٢١٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ١٠٣.

٤ - **الباطنية:** " قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن، والمراد منه باطنه دون ظاهره، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، (الحديد: ١٣)، وهم فرق متعددة. **ينظر** في بيانهم: مناهل العرفان: ٥٤/٢، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، الإمام ظاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحـــ: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – بيروت – لبنان، ط١، سنة (١٤٠٣ه – ١٩٨٣م): ١٤٠/١–١٤٨.

٥ - **المشبهة:** هم الذين شبهوا الله بخلقه فقالوا: له يد كيد المخلوق ورجل كرجله – تعالى الله عن ذلك – والمشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره. والمبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم يطلقون على مثبتي الصفات من أهل السّنة: مشبهة. **ينظر:** الملل والنحل: ١١٨/١.

وهكذا قامت الفرق المختلفة، وظهرت المذاهب الدينيّة المتنوّعة، ومنهم من بعد عن جادة الطريق، وتسلّط فكره على عقله وقلبه، وسمعه وبصره، فخالف نهج سلفه القويم، فــأخذ ينحّي الرواية والسماع جانبًا، وذهب يتأوّل القرآن برأيه على غير تأويله[٣]، وسلك في شرح نصوصه طريقًا ملتوية، فيها تعسّف ظاهر وتكلّف غير مقبول، وقف عند الألفاظ وجعلها شغله الشاغل لا يهمه إلا التشدق بتصريفها وتأويلها وتحميلها ما لا تحتمله، فقد جعل همّه أن يعمل عقله ليأخذ من القرآن شاهدًا على صدق بدعته، وأن يتحايل على نصوصه الصريحة لتكون داعمة يقيم

---

١ - **القدريّة:** هم نفاة القدر، نسبوا إليه لنفيهم إيّاه بقولهم: إنّ العبد هو الذي يخلق فعله. عكس الجبريّة، وتطلق هذه التسمية على فرقة المعتزلة، لأنَّها هي التي ورثت القول بهذه المقولة، وأول القدرية هو – على الأرجح – معبد الجهني، المقتول سنة ٨٠ هـــ. **ينظر:** الفرق بين الفرق: ١١٧/١٨، التبصير في الدين: ٦٣، الملل والنحل: ٥٦/١.

٢ - **الحشويّة:** الحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذلك هو من الناس، وحشوة الناس رذالتهم. **ينظر**(لسان العرب: ١٨٠/١٤)، والحشويّة: بسكون الشين وفتحها: قيل إنَّ أول من عرف أنّه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة، فإنَّه ذُكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله فقال: كان ابن عمر حشويًّا: نسبه إلى الحشو، وهو العامة والجمهور، والمعتزلة تطلق على من أثبت الصفات والقدر حشويًّا. وقد عد السلف إطلاق هذا اللفظ على أهل السّنة من علامة الزندقة. **ينظر:** عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية): ١٣٢/١-١٣٣، ، وبيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلاميّة، أو نقض تأسيس الجهميّة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة: ٢٤٤/١.

٣ -" خلا عمر بن الخطاب (ﷺ) ذات يوم يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وكتابها واحد وقبلتها؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنّا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم أنزل، وإنّه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يعرفون فيم نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا... ". سنن سعيد بن منصور: ١٧٦/١.

عليها أصول عقيدته ونزعته، فحرّف مراد القرآن عن مواضعه، وفسّر ألفاظه على تحمّل ما لا تدلّ عليه[١].

ولم يقتصر الأمر على جانب في العلوم دون آخر، بل سرى التعصّب المذهبيّ الذي ظهر قائمًا على قدمه وساقه وخاصة في العصر العباسيّ الذي عاصر الترجمة وتدوين علوم اللغة والنحو والصرف والفقه والتفسير وغيرها في كلّ العلوم والفنون، فامتلأت مؤلفاتهم بآرائهم العقليّة وعقائدهم المذهبيّة وأهوائهم المتشعبة، على أنَّ نظرة في علوم التفسير – مثلًا – لتعطيك أقوى الأدلة على ذلك ، حيث إنَّ كلَّ صحاب مذهب أو فن تراه قد صبغ مؤلّفه ورأيه بصبغة مذهبه الذي يتبعه وفنَّه الذي برع فيه[٢].

ومن ثمَّ فقد امتلأت المصنفات بالإشارات إلى سيطرة المذهب على التأويل، وقد تجدها متصدرة في أول مؤلفاتهم[٣]، وتراها متنوعة، ما بين إمكانية الإغضاء عن الميل المذهبيّ نظرًا لبراعة صاحبه في تصنيفه واحتواء مصنّفه آراء سديدة وفوائد عديدة[٤]، وما حمل تعنيفًا وهجومًا بأشنع الألفاظ والعبارات[١]، والتي جاء

---

[١] - **ينظر:** تفسير القرآن الكريم: صـــ ٢٢-٢٣.

[٢] - **ينظر:** التفسير والمفسّرون: ١٠٩/١.

[٣] - ينظر – مثلًا – مقدمة التبيان في تفسير القرآن، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـــ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان: ١/ م/٢.

وأيضاً ما ذكره ابن المنير في مقدمة كتابه حيث صرَّح بأنَّ مصنَّفه جاء بغرض الثأر لأهل السّنة من أهل البدعة، ممّا عدّه عملًا يعذره عن الجهاد. **ينظر:** الانتصاف (هامش الكشاف): ٥٤١/١، ٢٣٢/٢، ١٠٨/٣.

[٤] - ومن ذلك ما نجده في مقارنة الحافظ أبي القاسم بن بشكوال بين تفسير ابن عطيّة وتفسير الزمخشريّ، ووصفه وتحليله العميق لكتاب الكشّاف. **ينظر:** تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ، (٦٥٤هـــ – ٧٤٥هـــ)، تحـــ: الشيخ عادل أحمد عبد

الردّ عليها من الطرف الآخر بأقذعها وأقساها مما يحمل السخرية والتجهيل والتكذيب والرمي أحياناً بالإلحاد والكفر والخروج من ربقة الإسلام[٢]، ولا ينتهي المطاف إلى هنا بل يأتي الرد على الرد بألفاظ أشنع وأقذع إلى حد الوصف بالشرك[٣]، وربما بلغ الخـــــــلاف والخصومة مبلغاً تكون نتيجته إزهاق

الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، ط١، سنة: (١٤٢٢ه ــ ٢٠٠١م): ١١٣/١.

١- ومثال ذلك العلاَّمة ابن القيم، فإنَّه كثيرًا ما يثور على الزمخشرى من أجل تفسيره الاعتزالي. وأيضاً هجوم الشيخ حيدر الهروي – أحد الذين علَّقوا على الكشَّاف – على الزمخشري، وكذلك هجوم أبي حيان وتاج الدين السبكي على الزمخشري بأشنع الألفاظ في مواطن عديدة. **ينظر:** الأمثال في القرآن الكريم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، (٦٩١-٧٥١هـ)، تحـ: إبراهيم محمد، دار النشر: مكتبة الصحابة – طنطا – مصر – ١٤٠٦، ط١: ٣٢/١، إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحـ: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، سنة (١٩٧٣م): ١٦٩/١، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعالم الفاضل الأديب والمؤرخ الكامل الأريب مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة، (ت: ١٠١٧هـ-١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلميّة – بيروت، سنة: (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م): ١٤٨٣/٢-١٤٨٤، البحر المحيط: ٨١/٧-٨٢.

٢- من ذلك موقف الزمخشريّ فلم يكن في الجدل المذهبيّ بأقل من خصومه وخاصة نيله من أهل السّنة، بالتمادي في السخرية منهم بأقذع الألفاظ والتحقير لمذهبهم بأشنع العبارات، وإسقاط معاني بعض الآيات الواردة في حق الكفار عليهم، وإخراجهم من دين الله. **ينظر:** الكشاف: ٣٧٣/١، ٣٧٧/١، ٤٢٧/١، ٦١٩/١، ٦٣٣/١، ٧١٥/١، ٣٢٦/٢، ٣٣١/٢، ٧١٦/٤ ، ٨٢٦/٤، ٢٠٠/٤، ٥٨٥/٤، ٧٦٤/٤.

٣- من هذه الردود ما أورده قاضي الإسكندريّة، أحمد بن محمّد بن منصور المنير المالكيّ، في حاشيته على الكشاف والتي أسماها (الانتصاف من الكشاف) – التي ناقش فيها ما أحنقه الزّمخشريّ من دسائس الاعتزال في كشّافه والتي بدت من أعاريبه وتأويلاته، فحاول إبطالها والرد عليها. **ينظر:** الانتصاف (هامش الكشاف): ٥٣٨/١، ١٣٠/٦، ١٣٥/٢.

الأرواح[١]، على أنَّه إذا خالف أحدهم مذهبه الذي ينتمي إليه في رأي يجنح به إلى رأي خصومه تجد الخصم فرحًا تبدو عليه علائم البشر، وتأخذه نشوة السعادة والسرور[٢].

وعليه، فقد تصدّى علماء كلّ فرقة ومذهب للترويج لمذاهبهم والدفاع عن آرائهم، وولّوا وجوههم إلى القرآن الكريم، ينظرون إليه من خلال عقيدتهم، ويحاولون أن يجدوا فيه ما يؤيد رأيهم ويقوي حجتهم، ولم يتورّع بعضهم من إخضاع الآيات القرآنيّة بتأويل معناها وفق مذهبهم، ومقتضى نزعاتهم، فأمالهم التعصب عن جادة الصواب وانحرف بهم عن سواء السبيل ، والجنوح بالمعنى القرآنيّ إلى غير مراد الله (ﷻ).

ومثال ذلك الضّالين من القادياينة التي نشأت سنة (١٩٠٠م) – بتخطيط من الاستعمار الإنجليزيّ في القارة الهنديّة – بأفكار ومعتقدات خارجة عن الإسلام، فقد حرّفوا أعاريب في القرآن الكريم؛ لتدعيم مذهبهم الباطل، فقد آمنوا "بوجوب الطَّاعة للكفار الذين كانوا يستعمرون بلاد الإسلام عند ظهروهم، والذين مهدوا لهم السّبيل، ووفَّروا لهم الحماية، ولا سيّما الإنجليز، فوجَّهوا آيات القرآن توجيهاً يخدم فكرتهم، وينصر مذهبهم.

فإذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) صرفوا معنى ﴿مِنْكُمْ﴾ التي تدلُّ بجلاء على أنَّ أولي الأمر الذين لهم حق

---

[١] - كانت وفاة الرّازي – رحمه الله – سنة ٦٠٦ه ... بالري، ويقال في سبب وفاته: أنَّه كان بينه وبين الكراميّة خلاف كبير وجدل في أمور العقيدة فكان ينال منهم وينالون منه سبًّا وتكفيرًا وأخيرًا سمُّوه فمات على إثر ذلك واستراحوا منه. **ينظر**: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحـــ: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير– دمشق – ط١، سنة (١٤٠٦هـــ): ٢١/٥.

[٢] - مثال ذلك عندما يرى ابن المنير الزمخشري وقد ابتعد عن المعتزلة، وخالفهم في بعض آرائهم، وأخذ برأي أهل السّنة. **ينظر**: الانتصاف (هامش الكشاف): ٦٧٠/١.

الطّاعة يجب أنْ يكونوا من المسلمين، من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المخاطبين في الآية الكريمة. فكلمة (مِن) تفيد البعضيّة كما يقول النُّحاة. أي: أنَّهم جزء من المؤمنين الّذين خوطبوا بالآية. حرَّف القاديانيّون هذا المعنى الجليّ إلى معنىً اخترعوه من عند أنفسهم، وقالوا: معنى ﴿مِنْكُمْ﴾، أي: (فيكم)؛ حتّى يشمل أولي الأمر من الكفَّار المستعمرين. فطاعتهم واجبةٌ مثل طاعة الله – تبارك وتعالى – وطاعة رسوله (ﷺ)"[1].

وغرضنا هنا أن نعرض من ذلك جانبًا، يتجلّى في قيام كلّ فريق باتخاذ قواعد النحو وسيلة لتأويل المفهوم القرآنيّ للآيات الكريمة وفق مقتضيات نزعته، وتسخير القاعدة النحويّة وليّها ليؤصّل ما عنده من قواعد ونظريات بما في القرآن من أصول وأحكام وعقائد، وإن كان لا يخفى أنَّ هناك من هو على حقٍّ في التأويل وهدف نبيل، أفرغ همّه لكشف مراد الله من كلامه، وتبيانه على الوجه الصحيح، ودحض التأويلات الباطلة، وتفنيد الشبهات الواهية، ليحفظ لكلمات القرآن كمالها، ولمعانيه رونقها وجلالها، إلّا أنَّ المقصد هنا عرض القضيّة وإبراز الدافع وراء التأويل النحويّ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منثورة بين صفحات الكتب للمذاهب المختلفة، وإن كانت في التفاسير أغزر، وهي مادة دسمة لمن أراد سبر أغوارها، على أنّ هذا الأمر يحتاج إلى مصنّفات، وجهد جهيد للبحث والتفتيش في ما يقع تحت الأيدي من المؤلفات، وخاصة من كتب التفسير المذهبيّة، غير أنّ طبيعة البحث تقتضي الاقتصار على ما يوضح المسألة ويسلّط الضوء على القضيّة، ويكفينا هنا عرض نماذج وإشارات للاستدلال على النهج، والله من وراء القصد.

---

[1] - كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاويّ، مؤسسة الرّسالة – بيروت، ط١، سنة (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م): صـ ٣٠٢. **وينظر:** الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار النّدوة العالميّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بإشراف: د. مانع بن حمّاد الجهنيّ، الرّياض، ط ٥، سنة (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م): ١/٤١٦ : ٤٢٠.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾. (القيامة: ٢٢ – ٢٣).

ذهب القاضي عبد الجبّار المعتزليّ إلى القول بأنَّ ﴿إِلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ليست حرفَ جرٍّ، وإنَّما هي مفرد (آلاء) بمعنى: (نِعم)، وأنَّ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ ليست من نظر العيْن، وإنَّما هي بمعنى: (منتظرة)، وتقدير الكلام – عنده – : أنَّ الوجوه الناضرة تنتظر وترتقب نِعم ربِّها.

وإنَّما حمله إلى ذلك مذهبه القاضي بمنع الرؤية، وذلك في قوله:

" وإنَّما هو – إلى – واحد (الآلاء) التي هي: (النَّعم)، فكأنَّه – تعالى – قال: وجوه يومئذٍ ناضرة آلاء ربّها منتظرة، ونعمه مرتقبة... "[١].

واستناداً إلى مذهبه، أي: الاعتزال، ذهب الزَّمخشريّ إلى أنَّ المعنى في الآية الكريمة: هو على تفسير التوقع والرجاء، وذلك في قوله:

" والذي يصحّ معه أنْ يكون من قوله الناس: (أنَّا إلى فلان ناظر ما يصنع بي)؛ تريد : معنى التوقع والرَّجاء، ومنه قول القائل[٢]:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ ملك * * * وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا

---

[١] - شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبَّار بن أحمد، (ت: ٤١٥ ه)، تحـــ: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، سنة (١٣٨٤ ه – ١٩٦٥م): صـــ ٢٤٥.

[٢] - البيت من الكامل، ولم أهتدِ إلى قائله، وهو في الكشَّاف: ٦٦٣/٤، والتَّفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤ هـــ)، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١، سنة (١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م): ٢٠١/٣٠، وتفسير البيضاويّ، المسمى بـــ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» قام بتأليفه الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاويّ (ت ٦٨٥ هـــ)، دار الفكر– بيروت: ٤٢٣/٥، تفسير البحر المحيط: ٣٨٠/٨ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبيّ (ت: ٧٥٦ه)، تحـــ: الدكتور أحمد محمَّد الخرَّاط، دار القلم – دمشق، ط١ سنة (١٤١٥هـــ – ١٩٩٤م): ٥٧٦/١٠.

وسمعت سروية(١) مستجدية بمكة – وقت الظهر حين يغلق النّاس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم – تقول: (عيينتي نُويظرة إلى الله وإليكم). والمعنى: أنَّهم لا يتوقعون النّعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه"(٢).

فيتّضح حَمْلُ هذا الإعرابِ مذهبَ قائله (الاعتزال)، المخالف لمذهب أهل السّنة والجماعة، ومن ثمَّ جاء ردّهم(٣) موضحاً هذه المخالفة، مستدلين بما ورد من أحاديث(٤) متواترة، تدلُّ على تشريف المؤمنين بالنَّظر إلى الله – تعالى – في الآخرة، ونصوصهم في ذلك كثيرة.

---

١ - السّرويّة: النسبة إلى بلدةٍ بطبرستان، يقال لها: سارية. ينظر: القاموس (سري).

٢ - الكشّاف: ٦٦٣/٤.

٣ - **ينظر** – مثلاً – : إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحـ: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت، ط١ سنة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م): ٥/ ٨٤ – ٨٨، والمحرر الوجيز: ٤٠٥/٥، إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت: ٦١٦هـ)، تحـ: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية – لاهور– باكستان: ٢٧٤/٢ ، تفسير القرطبيّ: ١٠٨/١٩–١٠٩، وتفسير البيضاويّ: ٤٢٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٥١/٤.

٤ - منها ما ذكره النَّحَّاس في (إعراب القرآن: ٨٤/٥ – ٨٨)، ومنه قوله: " ونحن نذكر الاحتجاج في ذلك من قول الأئمة والعلماء وأهل اللغة، إذا كان أصلاً من أصول السّنة، ونذكر ما عارض به أهل الأهواء، ونبدأ بالأحاديث الصحيحة عن الرسول (ﷺ) ... عن صهيب قال: قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف لهم عن الحجاب؛ فينظرون إلى الله (ﷻ) فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة)...". **وينظر:** المحرر الوجيز: ٤٠٥/٥، تفسير القرطبيّ: ١٠٨/١٩–١٠٩، تفسير ابن كثير: ٤٥١/٤.

وقد تدرّج علماء السّنة في الرد على المعتزلة، فنرى منهم من نظر بعين الإنصاف والترجيح، واصفًا تأويل المعتزلة بالسّائغ في العربيّة، إلّا أنَّه حسّن قول أهل السّنة لما وصفه بثبوت أدلتهم القطعيّة، ومنهم ابن عطيّة(١)، ومنهم من اعترض على ما ساقه المعتزلة بالدليل النحوي، رادًا ما استشهدوا به من البيت الشعريّ، ومنهم البيضاويّ(٢)، ومنهم من وصف المعتزلة بالغلوّ كأبي البقاء العكبريّ(٣)، ومنهم من وصف توجيههم بالباطل والتكلّف والغاية في البعد، ومنهم صاحب التسهيل(٤)، ومنهم من جنح إلى أبعد من ذلك فلم يكتفِ بما ذكره من خطأِ

---

١ - ويتّضح ذلك في قوله: " وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حمل هذه الآية أهل السّنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله – تعالى – ... وأمَّا المعتزلة الذين ينفون رؤية الله – تعالى – فذهبوا في هذه الآية إلى أنَّ المعنى: إلى رحمة ربها ناظرة، أو إلى ثوابه، أو ملكه. فقدَّروا مضافاً محذوفاً، وهذا وجه سائغٌ في العربية، كما تقول: (فلان ناظر إليك في كذا)، أي: إلى صنعك في كذا. والرواية إنما تثبتها بأدلة قاطعة غير هذه الآية، فإذا ثبتت حسن تأويل أهل السّنة في هذه الآية، وقوي ...". المحرر الوجيز: ٤٠٥/٥.

٢ - ويتضح ذلك في قوله: " وقيل منتظرة إنعامه. ورُدّ بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه، وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يتعدى بـــ (إلى)، وقول الشاعر: (وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما) بمعنى السؤال، فإنّ الانتظار لا يستعقب العطاء". تفسير البيضاويّ: ٤٢٣/٥.

٣ - ويتضح ذلك في قوله: " وأما ﴿إِلَى﴾ فتتعلق بـــ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ الأخيرة، وقال بعض غلاة المعتزلة ﴿إِلَى﴾ هاهنا اسم بمعنى: النعمة، أي: منتظرة نعمة ربها والمراد أصحاب الوجوه". إملاء ما منَّ به الرَّحمن: ٢٧٤/٢.

٤ - قال الكلبي: " ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله – تعالى– في الآخرة، وهو مذهب أهل السّنة، وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بأنَّ معناها: منتظرة، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ (نظر) بمعنى: (انتظر) يتعدى بغير حرف جرّ، تقول: (نظرتك)، أي: (انتظرتك)، وأَما المتعدي بـــ (إلى) فهو من نظر العين، ومنه قوله:

المعتزلة في المعنى والإعراب وخلطهم المعاني ونقضها، وخروجهم بالكلام عن ظاهره، ووضعه في غير موضعه، ونقضهم كلام العرب، بل اتّهمهم بالإلحاد والتعسّف والخروج من الجماعة، والجهل العظيم، ومن ذلك قول مكيّ:

" ودخول ﴿إِلَى﴾ مع النَّظر يدلُّ على أنَّه نظر العين، وليس من الانتظار، ولو كان من الانتظار لم تدخل معه ﴿إِلَى﴾، ألا ترى أنَّك لا تقول: (انتظرت إلى زيد) وتقول: (نظرت إلى زيد)، فـ (إلى) تصحب نظر العين، ولا تصحب نظر الانتظار، فمن قال: إنَّ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى: منتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب ووضع الكلام في غير موضعه.

وقد ألحد بعض المعتزلة في هذا الموضع وبلغ به التّعسف والخروج من الجماعة إلى أن قال: ﴿إِلَى﴾ ليست بحرف جرّ إنَّما هي اسم واحد (آلاء) و ﴿رَبِّهَا﴾ مخفوضٌ بإضافة ﴿إِلَى﴾ إليه لا بحرف الجرّ، والتقدير – عنده – : نعمةُ ربِّها منظرة، وهذا محال في المعنى؛ لأنَّه – تعالى – قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أيْ: ناعمة، وقد أخبرنا أنَّها ناعمة، فدخل النَّعيمُ بها، وظهرت دلائله عليها، فكيف ينتظر ما أخبرنا الله أنَّه حال فيها؟! إنَّما ينتظر الشيء الذي هو غير موجود. فأمَّا أمر موجود حالٌّ فكيف ينتظر؟! وهل يجوز أن تقول: (أنا أنتظرُ زيداً) وهو معك لم يفارقك ولا يؤمل مفارقتك؟. هذا جهلٌ عظيمٌ من مُتَأَوِّله.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٤٣). وقال بعضهم: ﴿إِلَى﴾ هنا ليست بحرف جرّ، وإنَّما هي واحد (الآلاء) بمعنى: (النّعم). وهذا تكلّف في غاية البعد. وتأوّله الزمخشريُّ بأنَّ معناه: كقول الناس: (فلان ناظر إلى فلان)، إذا كان يرتجيه ويتعلق به، وهذا بعيد..". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي – لبنان، ط٤، سنة (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م): ١٦٥/٤.

وذهب بعض المعتزلة إلى أن ﴿نَاظِرَةٌ﴾ من نظر العين، ولكن قال معناه: (إلى ثواب ربها ناظرة)، وهو أيضاً خروج عن الظاهر، ولو جاز هذا لجاز: (نظرت إلى زيد)، بمعنى: (نظرت إلى عطاء زيد). وهذا نقض لكلام العرب وفيه اختلاط المعاني ونقضها، على أنَّا نقول: لو كان الأمر كذلك لكان أعظم الثّواب المنتظر النظرَ إليه، لا إله إلا هو"[١].

أمَّا المذهب الشيعي فقد وافق المعتزلة فيما ذهبوا إليه، فهذا الشريف المرتضي[٢] مستعرضًا رأي المعتزلة، منتصرًا لهم، وذلك في قوله:

" اعلم أنَّ أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنَّه أصحاب الرؤية في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، على وجوه معروفة، لأنَّهم بيّنوا أنَّ النظر

---

[١] - مشكل إعراب القرآن، مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)، تحـ: أ.د. حاتم صالح الضَّامن، دار البشائر، دمشق، ط١، سنة (١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م): ٢/٧٧٨-٧٧٩.

[٢] - هو أبو القاسم، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) وهو أخو الشريف الرضي، وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق، وكان مع تشيعه معتزليًّا مبالغاً في اعتزاله، وله تصانيف كثيرة على مذهب الشيعة منها كتاب (الأمالي) الذي سمَّاه (غرر الفوائد ودرر القلائد)، وجمع فيه بين التّفسير الاعتزاليّ، والحديث، والأدب.. وبالجملة فقد كان إمام أئمة العراق، يفزع إليه علماؤها، ويأخذ عنه عظماؤها. وكانت ولادته سنة ٣٥٥هـ، وتوفي سنة ٤٣٦هـ، ببغداد، ودفن في داره عشية يوم وفاته. **ينظر:** إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، سنة (١٩٥٠م): ٢/ ٢٤٩-٢٥٠، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت: ٣٣٥-٣٣٦، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر خلكان، (ت: ٦٨١هـ)، تحـ: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان: ٢/١٤-١٧.

ليس يفيد الرؤية، ولا الرؤية من أحدِ محتملاته، ودلّوا على أنّ النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة؛ منها: تقليبُ الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلبًا لرؤيتة، ومنها: النظر الذي هو الانتظار، ومنها: النظر الذي هو التعطّف والرّحمة، ومنها: النظر الذي هو الفكر والتأمّل. وقالوا: إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلّق، واحتجنا جميعًا إلى طلب تأويل للآية من جهة غير الرؤية.

وتأوّلها بعضهم على الانتظار للثواب، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفًا، والمنتظر منه مذكورًا على عادة للعرب معروفة. وسلّم بعضهم أنّ النظر يكون الرؤية بالبصر. وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لِنِعَم الله تعالى عليهم؛ على سبيل حذْف المرئي في الحقيقة، وهذا كلام مشروح في مواضعه، وقد بيّنا ما يورد عليه، وما يجابُ به عن الشّبهة المعترضة في مواضع كثيرة.

وههنا وجه غريبٌ في الآية، حُكي عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمِدُه إلى العدول عن الظاهر، أو إلى تقدير محذوف، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أنّ النظر يحتمل الرؤية، أو لا يحتملها؛ بل يصح الاعتماد عليه؛ سواء أكان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب، أو الرؤية بالعين، وهو أن يحمل قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إلى أنَّه أراد نعمة ربها، لأن الآلاءَ النِّعم، وفي واحدها أربع لغات: (ألًا مثل قفًا)، و (أَلْيٌ مثل رَمْي)، و (إِلًى مثل مِعًي)، و (إِلْيٌ مثل حِسْى) قال أعشى بكر بن وائل[1]:

أَبْيَضُ لا يَرْهَبُ الهُزالَ وَلَا * * * يَقْطَعُ رِحْماً وَلَا يَخونُ إِلَى

[1] - ديوانه: صـــ: ١٥٥، واللسان (ألى)، أبيض: كريم، والهزال كناية عن قلة ذات اليد، وخيانة النعمة أن يبخل بها.

أراد أنَّه لا يخون نعمة، فأراد بـــ ﴿إِلَى رَبِّهَا﴾ نعمةَ ربّها، وأسقط التنوين للإضافة، فإن قيل: فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنَّه أريد بها: إلي ثواب ربها ناظرة، بمعنى: رائية لنعمه وثوابه؟ قلنا: ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف، لأنَّه إذا جعل ﴿إِلَى﴾ حرفًا ولم يعلّقها بالربّ تعالى، فلا بد من تقدير محذوف، وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف، لأنَّ ﴿إِلَى﴾ فيه اسم يتعلّق به الرؤية، ولا يحتاج إلى تقدير غيره"[١].

ووافقهم كذلك جماعة من علماء الشيعة منهم الطوسيّ الذي شرح المسألة بكلام مطوّل[٢]، وكذلك الطباطبائي[٣].

---

[١] - أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـــ)، تحـــ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، سنة (١٣٧٣هـــ – ١٩٥٤م): ١/ ٣٦-٣٧.

[٢] - ممّا قاله الطوسي في المسألة: " وقوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ معناه: منتظرة نعمة ربها وثوابه أن يصل إليهم... ودخول ﴿إلى﴾ في الآية لا يدل على أنَّ المراد بالنظر الرؤية، ولا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك، لأنَّا أنشدنا البيت، وفيه تعليق النظر بالوجه وتعديه بحرف (إلى) والمراد به الانتظار... ولو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنَّها رؤية ثواب ربّها، لأنَّ الثواب الذي هو أنواع اللذات من المأكول والمشروب والمنكوح تصح رؤيته، ويجوز أيضًا أن يكون إلى واحد إلآلاء... ولا يكون ﴿إلى﴾ حرفًا في الآية، وكل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على الله تعالى. وليس لأحد أن يقول: إنَّ الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعني إجماع المفسرين، وذلك لأنَّا لا نسلّم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد وأبو صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك: إنَّ المراد نظر الثواب. وروي مثله عن علي – عليه السلام – ... فكيف نجيز الرؤية عليه تعالى ؟!!!". التبيان في تفسير القرآن: ١٠/١٩٧-١٩٩.

[٣] - **ينظر** ما أورده الطبطبائي في المسألة في كتابه: الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت:١٨٩٢م-١٩٨١م)، صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ

إلا أنَّ الأمر لم يسلم لهم، بل جاءت الردود تفنّد ما قال به المعتزلة والمنتصرين لهم من الشيعة، ومن تلك الرّدود ما ساقه الفخر الرازيّ في تفسيره من كلام مطوّل انتصارًا لمذهب أهل السّنة وتفنيدًا لرأي غيرهم[١].

غاية الأمر أنَّ التأويل النحويّ كان سبيل كلّ فريق للانتصار لمذهبه وتفنيد رأي خصومه، وإن كان قد لبس ثوب الفلسفة والمنطق كما بان من كلامهم.

علّة موافقة الآخر:

لقد بلغ من سطوة التأثير المذهبيّ على تابعيه في التوجيه النحويّ وما يترتب على ذلك من معانٍ لآيات الذكر الحكيم أنَّك تلحظ موافقة أحدهم لإعرابٍ قال به تابعٌ لمذهبٍ مخالف، إلّا أنَّك إذا ذهبت تفتّش عن علّة الموافقة تجدها راجعةً إلى رغبته في خدمة تأصيل فكره وذيوعه، وإلّا فهو يصرفه إلى التأويل الملائم لمذهبه، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الصور التالية:

<u>الصورة الأولى: موافقة الشيعيّ للمعتزليّ:</u>

ومثال ذلك أنَّ الشّريف المرتضي وإن كان قد انطلق في رأيه معتمدًا على مبادئه الاعتزاليّة، مستعينًا في ذلك بنبوغه الأدبيّ، ومعرفته بفنون اللغة وأساليبها، إرضاء لعقيدته، وتمشّيًا مع مذهبه، وهجومه على أصحاب المذاهب الأخرى، ومن ذلك قوله:

" وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة، والمنقادين للجهالة، حسب ما سئِلنا، فنحن نُتبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل، ومُلَح حكاياتهم،

حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط١، سنة (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م): ٢٠/ ١٢١-١٢٢.

[١] - **ينظر**: التفسير الكبير: ٣٠/٢٠٠-٢٠٣.

ومستْحسن ألفاظهم، ليُعْلَم الفرق بين من رَبِحَت بيعته، وبين من خسِرت صفْقَتَه، فقد سئلنا أيضًا ذلك"[١].

إلا أنَّ ذلك لم يفصله عن نزعته الشيعيّة ومكانته بين مريديه كونه شيخاً من شيوخهم وإمامًا من أئمتهم، ويبدو ذلك واضحًا في محاولاته إثبات أنَّ أصول المعتزلة مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) ومن كلام غيره من أئمة الشيعة وغيرهم، وذلك حيث يقول عقب كلامه السابق، ما نصّه:

" اعلم أنَّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – وخطبه، فإنَّها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه، ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أنّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعدُ في تصنيفه وجمعه، إنَّما هو تفصيل لتلك الجمل، وشرح لتلك الأصول، وروي عن الأئمة من أبنائه – عليهم السلام – من ذلك ما لا يكاد يُحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف عليه، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة، ونتاج للعقول العقيمة، ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما يروي عنهم في هذا الباب..." [٢].

الصورة الثانية: موافقة المعتزليّ للسنيّ:

ومثال ذلك ما ذهب إليه الطّبريّ – وهو من كبار علماء أهل السّنة – من القول بأن ﴿مَا﴾ الواقعة بعد ﴿يَخْتَارُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ.. الآية﴾ (القصص: ٦٨) موصولة، مخالفًا بذلك مذهب أهل السّنة

---

[١] - أمالي المرتضي: ١/ ١٤٨.

[٢] - أمالي المرتضي: ١/١٤٩.

والجماعة القائل بأنَّها نافية، تصدرت كلاماً مستأنفاً منقطعاً عما قبله، أعني: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، فكلاهما عندهم كلامٌ مستقلٌ بدلالته[١].

فخالفهم الطبريّ واختار أن تكون ﴿مَا﴾ اسماً موصولاً، في محل نصب، مفعولاً به للفعل ﴿يَخْتَارُ﴾[٢] .

---

[١] - مذهب أهل السّنة والجماعة أنَّ **قوله تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، ردٌّ من الله (ﷻ) للمشركين، وإخبار بأنَّه – سبحانه وتعالى – المتفرد بالخلق، والاختيار، وأنَّه ليس له في ذلك منازع، ولا معقب، **أمَّا قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾ فكلام مستأنف منقطع عمّا قبله، والجملة على هذا الوجه مؤكدة لما قبلها، أو مفسرة له؛ إذ معنى ذلك يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء أن يختاره، لا ما يختاره العباد عليه، وهي على ما تقدم مستأنفة في جواب سؤال تقديره: فما حال العباد أو هل لهم اختيار؟ أو نحوه فقيل: ليس لهم اختيار، **أي:** ليس لأحد من خلقه أن يختار شيئاً اختياراً حقيقياً، بحيث يقدم على تنفيذه بدون اختيار الله . والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم، وقيل: المراد أنَّه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه؛ ولذلك خلا عن العاطف. **ينظر:** معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ (ت : ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د / عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت – ط١، سنة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م): ١٥٢/٤، إعراب القرآن للنحاس: ٢٤١/٣، مشكل إعراب القرآن: ٥٤٧/٢–٥٤٨، المحرر الوجيز: ٢٩٥/٤–٢٩٦، التفسير الكبير: ٩/٢٥–١٠، إملاء ما منَّ به الرحمن: ١٧٩/٢، تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٣، البحر المحيط: ٧ / ١٢٩، الدر المصون: ٦٩٠/٨–٦٩١، روح المعاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسيّ البغداديّ، (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت: ١٠٣/٢٠–١٠٤.

[٢] - **يقول الطّبريّ:** " فلا شك أن ﴿مَا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾ في موضع نصب، بوقوع ﴿يَخْتَارُ﴾ عليها، وأنَّها بمعنى (الذي)". تفسير الطّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد ابن خالد الطبري، أبو جعفر، (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر – بيروت، سنة (١٤٠٥هـ): ١٠٠/٢٠.

واستأنس الطّبريّ لهذا الوجه بأن المعنى: أنَّ الله يختار من الرسل، والشرائع، ما كان خيرة للناس، لا كما يختارون هم ما ليس إليهم، ويفعلون ما لم يؤمروا به[١]؛ فالخيرة على هذا الوجه عنده بمعنى الخير والمصلحة[٢].

واستدلَّ الطّبريّ لما ذكره بما رواه بسنده عن ابن عباس(ﷺ) حيث قال : " كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية "[٣].

ولم يكتف الطّبريّ بما ذكره، بل قد أنكر رأي أهل السّنة والجماعة الذي أجمع عليه علماؤها من أهل اللغة وعلماء التفسير من كون ﴿مَا﴾ هنا نافية؛ ووصفه بالفاسد؛ لئلا يكون المعنى أنَّهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى، وهي لهم فيما يستقبل، ولأنه لم يتقدم كلام بنفي [٤][٥].

والذي يعنينا أنّ قول الطّبريّ كان مسلكاً لطائفة من المعتزلة والقائلين بوجوب مراعاة الأصلح؛ ومن ثمَّ فلا عجب من موقف الزَّمخشريّ، واستدلاله لصحة قــول الطّبريّ بما ورد من جواز حذف العائد على الموصول، وذلك في قوله:

" وقيل معناه: ويختار الذي لهم فيه الخيرة، أي: يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح، وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم، من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار. فــإن قلت: فأيــن الراجــع مــن الصلة إلى الموصول إذا جعلت ﴿مَا﴾

---

[١] - ينظر: المحرر الوجيز: ٢٩٦/٤، البحر المحيط: ١٢٩/٧.

[٢] - **ينظر:** تفسير الطّبريّ: ٩٩/٢٠-١٠٠.

[٣] - تفسير الطّبريّ: ١٠٠/٢٠.

[٤] - **ينظر:** تفسير القرطبيّ: ٣٠٦/١٣، الدر المصون: ٦٩١/٨.

[٥] - ينظر: **تفسير الطّبريّ:** ١٠١/٢٠-١٠٢.

موصولة؟ قلت: أصل الكلام (ما كان لهم فيه الخيرة)، فحذف (فيه) كما حذف منه في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)؛ لأنه مفهوم"[١].

وقد أنكر علماء أهل السّنة والجماعة هذا التوجيه النحوّي من الطبريّ، مفندين ما استدلّ به هو وموافقوه[٢]، مشيرين إلى جريانه على قول أهل الاعتزال وبعده في المعنى والإعراب والاعتقاد.

قال مكيّ:

" **وقال بعض العلماء – الطّبريّ وغيره – : هي في موضع نصب بـ ﴿يَخْتَارُ﴾، وليس ذلك بحسن في الإعراب؛ لأنه لا عائد يعود على ﴿مَا﴾ في الكلام، وهو أيضا بعيد في المعنى والاعتقاد؛ لأنّ كونها للنفي يوجب أن تعم جميع الأشياء أنّها حدثت بقدر الله واختياره، وليس للعبد فيها شيء غير اكتسابه بقدر من الله، وإذا جعلت ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ ﴿يَخْتَارُ﴾ لم تعم جميع لأشياء أنها**

---

[١] - الكشاف: ٤٣٢/٣.

[٢] - منهم القرطبيّ في قوله (تفسير القرطبيّ: ٣٠٦/١٣): " وأنكر الطّبريّ أن تكون ﴿مَا﴾ نافية؛ لئلا يكون المعنى إنهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى، وهي لهم فيما يستقبل؛ ولأنه لم يتقدم كلام بنفي، قال المهدوي: ولا يلزم ذلك؛ لأنّ ﴿مَا﴾ تنفي الحال والاستقبال كليس؛ ولذلك عملت عملها، ولأن الآي كانت تنزل على النبي(ﷺ) على ما يسأل عنه، وعلى ما هم مصرون عليه من الأعمال، وإن لم يكن ذلك في النص، وتقدير الآية عند الطّبريّ: ويختار لولايته الخيرة من خلقه؛ لأن المشركين كانوا يختارون خيار أموالهم، فيجعلونها لآلهتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه، كما اختار المشركون خيار أموالهم لآلهتهم فـ ﴿مَا﴾ على هذا لمن يعقل، وهي بمعنى (الذي) و﴿الْخِيَرَةُ﴾ رفع بالابتداء و﴿لَهُمْ﴾ الخبر، والجملة خبر ﴿كَانَ﴾ وشبهه بقولك: (كان زيد أبوه منطلق)، وفيه ضعف؛ إذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم ﴿كَانَ﴾ إلا أن يقدر فيه حذف فيجوز على بعد".

مختارة لله، إنّما أوجبت أنّه يختار ما لهم فيه الخيـــرة لا غيـــر، ونفي ما ليس لهم فيه خيرة، وهذا هو مذهب القدريّة والمعتزلة، فكون ﴿مَا﴾ للنفي أولى في المعنى، وأصح في التفسير، وأحسن في الاعتقاد، وأقوى في العربية؛ ألا ترى أنك لو جعلت ﴿مَا﴾ في موضع نصـــب؛ لكان ضميـــرها فـــي ﴿كَانَ﴾ اسمها ولوجب نصب الخيرة، ولم يقرأ بذلك أحد"[١].

الصورة الثالثة: موافقة السنيّ للمعتزليّ:

ومثال ذلك ما ذهب إليه الزَّمخشريّ من أنَّ جملة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ (آل عمران:١٧١) تأكيدٌ للأول، أي: للاستبشار الأول الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٧٠)؛ وذلك لأنَّه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الأول[٢]. وأوّل هذا الإعراب على طريقة الاعتـــزال، في ذكـــره وجـــوب الأجـــر، وتحصيله على إيمانهم[٣].

ويفاد هذا من قوله: "وكرر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ ليعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر النعمة، والفضل، وأنَّ ذلك أجرٌ لهـــم على إيمانهم، يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع"[٤].

ووافقه جماعة من أهل السّنة والجماعة في القول النحويّ بالتأكيد[٥] [٦]، إلّا أنَّهم خالفوه في تأويل الإعراب على المعنى بالذي يساير مذهبهم ويخالف الاعتزال،

---

[١] - مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٥٤٧-٥٤٨.

[٢] - **ينظر:** الدر المصون: ٣/٤٨٧.

[٣] - البحر المحيط: ٣/١١٦.

[٤] - الكشاف: ١/٤٦٧.

[٥] - **ينظر:** تفسير البيضاويّ: ٢/١١٥، روح المعاني: ٤/١٢٤.

[٦] - هذا الوجه مخالف للمعنى القرآنيّ؛ ذلك أنّه لا يستقيم إلا باتفاق متعلّق الفعلين، أعني: كون الاستبشار الأول والثاني متعلق بفريق واحد، وهو غير حاصل؛ ذلك أنَّ المعنى على أنَّ

ومثال ذلك ما قاله ابن عطية من كون قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ذكر على وجه التأكيد، غير أنَّه سلك طريقة أهل السّنة فقال:

" ثمَّ أكد استبشارهم بقوله : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثمَّ بيَّن تعالى بقوله: ﴿وَفَضْلٍ﴾ فوقع إدخاله إياهم الجنة الذي هو فضل منه لا بعمل أحد، وأمَّا النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنَّها على قدر الأعمال"[1].

الاستبشار الأول حاصل بالذين لم يلحقوا بهم، أمَّا قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ فهو متعلق بهم أنفسهم، لا بالذين لم يلحقوا بهم. فالصواب هو القول بالاستئناف، ويفاد هذا من قول أبي حيَّان (البحر المحيط: ١١٦/٣): " والظاهر أن قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليس بتأكيد للأول؛ بل هو استئناف متعلق بهم أنفسهم، لا بالذين لم يلحقوا بهم؛ فقد اختلف متعلق الفعلين؛ فلا تأكيد؛ لأنَّ هذا المستبشر به هو لهم، وهو نعمة الله عليهم وفضله".

[1] - المحرر الوجيز: ٥٤٢/١، **وينظر**: البحر المحيط: ١١٦/٣.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للخلق أجمعين، سيدنا محمد النبي العربيّ الأميّ الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ،،، وبعد:

فإنَّني – بعد هذا الجهد الذي منَّ الله (ﷻ) به عليَّ ، وبعد التَطواف في كتب التفسير والنّحو وغيرها ممّا له صلة بعلوم القرآن الكريم ولغته، ومن خلال ما اشتمله هذا البحث، الذي جاء عنوانه: **(الاختلاف المذهبيّ وأثره في التأويل النحويّ لآيات القرآن الكريم)** – **قد توصلت إلى بعض النتائج التي يمكن إيجازها فيما يلي:**

- أنَّ النزعة المذهبيّة لبعض العلماء قد تسلّطت على كثير من تأويلاتهم النحويّة لآياتٍ من الذكر الحكيم، وحداهم إلى ذلك رغبتهم في تطويع وحمل ألفاظ القرآن على المعنى الذي يوافق عقيدتهم وأفكارهم، فألبسوا أعاريبهم رداء مذهبهم لإدراكهم قوّة التوجيه النحويّ في تطويع المعنى وفق مقتضيات نزعتهم.
- أنَّ بعض العلماء في سبيل نصرة مذهبهم لم يدّخروا جهدًا في ليّ المعنى القرآنيّ ليساير أهواءَهم ونزعتهم المذهبيّة؛ فاتخذوا – إضافة إلى تسخير القاعدة النحويّة للعصبيّة المذهبيّة – جميعَ ما أوتوا من براعة في البيان، وما حصلوه من أساليب المنطق وطرائق الاجتهاد وسيلةً للاستدلال على صدق مذهبهم وغلبةِ نزعتهم.
- أنَّ غلبة العصبيّة المذهبيّة لدى بعض العلماء لم تجنح بهم إلى أسلوب الفلاسفة والمناطقة فحسب، بل دعتهم في بعض الأحايين إلى الخروج عن مراد الله (ﷻ) من كلامه، وأكثر من ذلك النيل من الآخر خلقًا وفكرًا وعقيدةً، فكان التجاذب بالسباب والرمي بالكفر والإلحاد للمخالف رأيهم.

- أنَّ موافقة المخالف في بعض آرائه لا تخلو كذلك في كثير من الأحيان من سطوة المذهب والعقيدة، فإمَّا أن يرجعها الموافق إلى أصل عقيدته، وإمَّا أن يفسّر التوجيه بما يلائم فكره وهواه.
- أنَّه مع امتلاء كثير من المصنّفات بالإشارات الدالة على سيطرة المذهب على التأويل، وتنوّعها، وبلوغها في بعض الأحايين حد رمي المخالف بالإلحاد والكفر والخروج من ربقة الإسلام، وربما بلغ الخلاف مبلغًا تكون نتيجته إزهاق الأرواح، إلّا أنَّ هناك من هو على حقٍّ في التأويل وهدف نبيل، أفرغ همّه لكشف مراد الله من كلامه، وتبيانه على الوجه الصحيح، ودحض التأويلات الباطلة، وتفنيد الشبهات الواهية، ليحفظ لكلمات القرآن كمالها، ولمعانيه رونقها وجلالها.

هذا، وقد اكتفينا من هذه القضيّة – نظرًا لطبيعة البحث – بالإيجاز والإشارة، آملين أن تلقى مزيدًا من الاهتمام لدى الدارسين وتناولها بالبحث الموسّع إثراءًا للدرس النحويّ التطبيقيّ، الذي يعكس قيمة القاعدة النحويّة وتأثيرها في المعنى والدلالة، ومن ثمّ توضيح الهدف الأساس الذي من أجله وضع النّحاة قواعدهم، وسخّروا في بنائها أعمارهم، سائلين المولى (ﷻ) أن يجعل ما صنعنا خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المراجع

القرآن الكريم.

- الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، مكتبة الكليات الأزهريّة، القاهرة (١٣٩٨هـ).
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحـ: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت، ط:١ سنة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م)، نسخة ثانية: اعتنى بها: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة – بيروت، عام ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦ م، طبعة١.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ، تحـ: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، سنة (١٩٧٣م).
- أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، سنة (١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م).
- الأمثال في القرآن الكريم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، (٦٩١-٧٥١هـ)، تحـ: إبراهيم محمد، دار النشر: مكتبة الصحابة – طنطا – مصر – ١٤٠٦، ط١.
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت: ٦١٦هـ)، تحـ: إبراهيم عطوة عوض، ط/ المكتبة العلمية – لاهور– باكستان.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، سنة (١٩٥٠م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،

نسخة ثانية: تحـــ: د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، (١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٥م).

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلاميّة، أو نقض تأسيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، الإمام ظاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحـــ: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – بيروت – لبنان، ط١، سنة (١٤٠٣ه - ١٩٨٣م).
- التبيان في تفسير القرآن، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـــ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، قدّم له الإمام المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني - دام ظلّه - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت: ٧٤١هـــ)، دار الكتاب العربي - لبنان، ط٤، سنة (١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م).
- تفسير ابن كثير، المسمى تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ أبو الفداء، (ت: ٧٧٤هـــ)، دار الفكر - بيروت، سنة (١٤٠١هـــ).
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ، (٦٥٤هـــ - ٧٤٥هـــ)، تحـــ: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١- د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢- د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، ط١، سنة: (١٤٢٢ه ـــ ٢٠٠١م).
- تفسير البيضاويّ، المسمى بـــ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» قام بتأليفه الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاويّ (ت ٦٨٥ هـــ)، دار الفكر- بيروت.
- تفسير السمرقنديّ المسمى بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقنديّ، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ابن خالد الطبري، أبو جعفر، (ت: ٣١٠هـــ)، دار الفكر - بيروت، سنة (١٤٠٥هـــ).

- تفسير القرآن الكريم، للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده – رحمه الله تعالى – (جزء عم) مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٤١هـ).
- تفسير القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، دار الشعب، القاهرة.
- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤ هـ)، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١، سنة (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).
- التفسير والمفسّرون، بحث تفصيليّ عن نشأة التفسير وتطوّره. وألوانه ومذاهبه. مع عرض شامل لأشهر المفسّرين. وتحليل كامل لأهم كتب التفسير من عصر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عصرنا الحاضر، تأليف الدكتور محمّد حسين الذهبيّ، ج١، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤ شارع الجمهوريّة، عابدين.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبيّ (ت: ٧٥٦ه)، تحقيق الدكتور أحمد محمَّد الخرَّاط ، الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة ، المعهد العالي للدعوة الإسلاميّة – المدينة المنوّرة، دار القلم – دمشق، ط١ سنة (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) .
- الرحيق المختوم – بحث في السيرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تأليف فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الجامعة السلفية – الهند، دار إحياء التراث.
- روح المعاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسيّ البغداديّ، (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- سنن سعيد بن منصور، تأليف: سعيد بن منصور الخراساني، (ت: ٢٢٧هـ)، تحـ: د.سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي – الرياض، ط١، سنة (١٤١٤هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحـ: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير– دمشق – ط١، سنة (١٤٠٦هـ).

- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبَّار بن أحمد، (ت: ٤١٥ ه)، تحـــ: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، سنة (١٣٨٤ ه – ١٩٦٥م).
- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٣١هـــ – ٦٧٦هـــ)، دار إيحاء التراث العربي، بيروت، ط٢، سنة (١٣٩٢هـــ).
- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، (ت: ٤٦٣ هـــ)، تحـــ: د.محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السّنة النبوية – أنقرة.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوريّ (٢٠٦ هـــ – ٢٦١ هـــ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحـــ: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تحـــ: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، سنة (١٩٦٨ م).
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، (ت: ٤٤٩هـــ)، تحـــ: أبو عبد الله نبيل بن سابق السبكي، ط ١، سنة (١٤١٣هـــ)، وطبعة أخرى (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)، إدارة الطباعة المنيرية، سنة (١٣٤٣هـــ). مكتبة طيبة– الرياض.
- فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد.
- فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء – بيروت، سنة (١٤٠٤ه – ١٩٨٤م).
- الفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني، تحـــ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة– بيروت.
- الفصل في الملل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، (ت: ٥٤٨ هـــ) ، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- كتاب الأصنام، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، بتحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٣، سنة (١٩٩٥م).

- كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحـــ: مراون العطية، محسن خرابة، دار ابن كثيرـــ ط١، سنة (١٤١٠ هـــ- ١٩٩٠م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـــ)، ومعه الانتصاف لابن المنير وحاشية المرزوقي، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي - أستذا البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، سنة (١٤١٨هـــ-١٩٩٨م).
- الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ (ت: ٥٣٨ هـــ)، تحـــ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعالم الفاضل الأديب والمؤرخ الكامل الأريب مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة، (ت: ١٠١٧هـــ-١٠٦٧هـــ)، دار الكتب العلميّة - بيروت، سنة: (١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٢م).
- كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاويّ، مؤسسة الرّسالة - بيروت، ط١، سنة (١٤٢١هـــ - ٢٠٠١م).
- لسان العرب، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط١، سنة (١٤١٠هـــ).
- اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء)، أحمد بن مصطفى الدمشقيّ، (ت: ١٣١٨ هـــ)، ط: دار الفضيلة، القاهرة.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ تأليف العلّامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، الناشر: مكتبة الإيمان، المنصورة - أمام جامعة الأزهر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ، (ت: ٥٤٦هـــ)، تحـــ: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة - لبنان، ط١، سنة (١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م).

- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادى – جدة، ط ١، سنة (١٤١٤هـ).
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر.
- مشكل إعراب القرآن، مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)، تحـ: أ.د. حاتم صالح الضَّامن، دار البشائر، دمشق، ط١، سنة (١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م)، نسخة ثانية: ط / مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢، سنة (١٤٠٥هـ).
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ (ت : ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د / عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت – ط١، سنة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، نسخة ثانية: تحـ: د. عبد الجليل عبده شلبي.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحـ: عبد الأمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة – بيروت، ط ١، سنة (١٤١٠هـ). ونسخة أخرى:
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقانيّ، دار الفكر – لبنان، ط١، سنة (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – الخطط المقريزية، تأليف: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى، (ت: ٨٤٥ هـ)، دار صادر – بيروت: ٤ /٣٩٢.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار النّدوة العالميّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بإشراف: د. مانع بن حمّاد الجهنيّ، الرّياض، ط ٥، سنة (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).
- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت:١٨٩٢م-١٩٨١م)، صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط١، سنة (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

- النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزريّ (ت: ٦٠٦هـ) تحـ: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، المكتبة العلميّة – بيروت، سنة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
- هذا الحبيب محمد رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يا مُحبّ، تأليف أبو بكر جابر الجزائري، دار الخاني للنشر والتوزيع – الرياض، ط٣، سنة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).
- الوصية الكبرى في عقيدة أهل السّنة والفرقة الناجية، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية – مصر، ط. الثالثة، سنة (١٤٠٠هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر خلكان، (ت: ٦٨١هـ)، تحـ: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان.